

الدرس الرابع

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين .

أما بعد :

قال رحمه الله تعالى :

وَقَدْ يَعْطِفُ اللَّهُ عَلَى الْإِيمَانِ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ أَوْ التَّقْوَى أَوْ الصَّبْرَ؛ لِلْحَاجَةِ إِلَى ذِكْرِ الْمَعْطُوفِ؛ لِئَلَّا يَظُنَّ الظَّانُّ أَنَّ الْإِيمَانَ يُكْتَفَى فِيهِ بِمَا فِي الْقَلْبِ، فَكَمْ فِي الْقُرْآنِ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ ثُمَّ يَذْكُرُ خَبْرًا عَنْهُمْ.

وَالْأَعْمَالُ الصَّالِحَاتُ مِنَ الْإِيمَانِ، وَمِنْ لَوَازِمِ الْإِيمَانِ، وَهِيَ الَّتِي يَتَحَقَّقُ بِهَا الْإِيمَانُ، فَمَنْ ادَّعَى أَنَّهُ مُؤْمِنٌ - وَهُوَ لَمْ يَعْمَلْ بِمَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ وَرَسُولُهُ مِنَ الْوَاجِبَاتِ، وَمِنْ تَرْكِ الْمُحَرَّمَاتِ -؛ فَلَيْسَ بِصَادِقٍ فِي إِيمَانِهِ .

الشرح :

نبه الشيخ رحمه الله إلى مسألة مهمة تتعلق بالإيمان ألا وهي أنه قد يعطف في كثير من الآيات على الإيمان ما هو داخل في مسماه ، كعطف الأعمال الصالحات على الإيمان ، وكعطف الصبر على الإيمان ، وكعطف التقوى على الإيمان ، إلى غير ذلك مما يأتي عطفه على الإيمان في نصوص الكتاب والسنة ، وفائدة هذا العطف مع أن هذه المعطوفات داخلية في مسمى الإيمان ، فائدة ذلك ما نبه عليه الشيخ رحمه الله تعالى : (لِلْحَاجَةِ إِلَى ذِكْرِ الْمَعْطُوفِ؛ لِئَلَّا يَظُنَّ الظَّانُّ أَنَّ الْإِيمَانَ يُكْتَفَى فِيهِ بِمَا فِي الْقَلْبِ) فهي تعطف على الإيمان تأكيداً على أهميتها واهتماماً بأمرها لا أنها خارجة عن مسمى الإيمان ، ثم ذكر كلمة حقيقة عظيمة جداً فيما يتعلق بالعمل ، وشأنه مع الإيمان ومكانته منه ، فقال : (وَالْأَعْمَالُ الصَّالِحَاتُ مِنَ الْإِيمَانِ، وَمِنْ لَوَازِمِ الْإِيمَانِ، وَهِيَ الَّتِي يَتَحَقَّقُ بِهَا الْإِيمَانُ) هذه كلمة عظيمة جداً في بيان الأعمال الصالحة وشأنها من الإيمان ومكانتها منه ، فذكر أموراً ثلاثة :

الأول : أن الأعمال الصالحة من الإيمان ، أي أنها داخله في مسماه وأن الإيمان إذا أطلق يشملها ، ويتناولها بإطلاقه ، فهي داخلية في مسماه .

والأمر الثاني : أن الأعمال من لوازم الإيمان ، أي أن الأعمال الصالحة الظاهرة من لوازم الإيمان الذي في القلب بمعنى أن الإيمان الذي في القلب كلما قوي في العبد ، قويت الأعمال وكثرت ، كما قال عليه الصلاة والسلام : (ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب) فقله رحمه الله : (وَمِنْ لَوَازِمِ الْإِيمَانِ) أي أن الأعمال من لوازم الإيمان أي أن ما يقوم في القلب من إيمان بالله عز وجل يشمر العمل ، ويستلزم العمل ، ولهذا يقول العلماء : لا يتصور وقوع إيمان صادق في العبد بدون عمل . لا يتصور وقوعاً إيماناً قوي بالله صادق في قلب المرء بدون عمل بدون طاعة لله ، هذا لا يتصور وقوعاً ، لأنه إن وجد إيمان في القلب صادق أثمر العمل ولا بد ، كما هو واضح في الحديث المتقدم (إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسد فسد الجسد كله ألا وهي القلب) قال : (وَهِيَ الَّتِي يَتَحَقَّقُ بِهَا الْإِيمَانُ) أي كما أن الأعمال من لوازم الإيمان فإن وجودها يحقق الإيمان ، والعناية بها تقوي إيمان القلب ، وخذ مثلاً على ذلك مجالس العلم ، مجالس العلم من الإيمان ، وداخله في الإيمان ، وهي جزء منه ، وهي في الوقت نفسه تحقق الإيمان ، قراءة القرآن من الإيمان وهو في الوقت نفسه يحقق الإيمان ، كلما ازداد قراءة للقرآن بتدبر لمعانيه وتعقل لدلالاته زاد إيمانه ، قد مر معنا قول الله عز وجل : ﴿ وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيْمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ

ءَامَنُوا فزَادَتْهُمْ إِيْمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ (١٢٤) و مر قول الله عز وجل ﴿ وَإِذَا تُلِيتَ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ

يَتَوَكَّلُونَ ﴾ فالأعمال الصالحة تحقق الإيمان بمعنى أن العبد كلما اعتنى بها واستكثر منها وجاهد نفسه على

الإيمان بها انعكس هذا على ما في القلب تحقيقاً وتمكيناً وتمتيناً له ، فهذه كلمة عظيمة جداً في وصف الأعمال وبيان شأنها من الإيمان قال : (وَالْأَعْمَالُ الصَّالِحَاتُ مِنَ الْإِيمَانِ ، وَمِنْ لَوَازِمِ الْإِيمَانِ ، وَهِيَ الَّتِي يَتَحَقَّقُ بِهَا الْإِيمَانُ) .

قال : فَمَنْ ادَّعَى أَنَّهُ مُؤْمِنٌ - وَهُوَ لَمْ يَعْمَلْ بِمَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْوَاجِبَاتِ ، وَمِنْ تَرْكِ الْمُحَرَّمَاتِ - ؛ فَلَيْسَ (**صَادِقًا فِي إِيْمَانِهِ**) بِصَادِقٍ فِي إِيْمَانِهِ . لماذا ؟ لأن البرهان غير موجود ، والدعوى إذا لم يقيم عليها بينات فأهلها أديعاء ، يدعي الإيمان لكن لا يطيع الله ، ويدعي الإيمان بالرسول صلى الله عليه وسلم ولا يطيع الرسول ، والله يقول : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ فإذا كان يدعي الإيمان به أين

الطاعة له ؟ وأين الإتياع ، وإذا كان يدعي الإيمان بالله سبحانه وتعالى فأين العبودية لله التي خلق الخلق لأجلها وأوجدهم سبحانه وتعالى لتحقيقها ، فإذا من ادعى الإيمان ولم يعمل فهذا دليل على عدم صدق إيمانه ، إذن كل ما مضى ينبه فيه الشيخ رحمه الله على أن عطف الأعمال على الإيمان ، لا لأنها خارجة عنه ، لا أنها خارجة عن الإيمان ، وإنما عطفها على الإيمان تأكيداً عليها واهتماماً بمقامها ، أن الإيمان لا يتحقق إلا بها .

قال رحمه الله تعالى :

كَمَا يَقْرُنُ بَيْنَ الْإِيمَانِ وَالتَّقْوَى، فِي مِثْلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الْآيَاتِ أُولِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ٦٣﴾
 الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ [سُورَةُ بَنِي إِسْرَءِيلَ]،

الشرح

مثل ما أنه يعطف على الإيمان الصبر والأعمال الصالحة أيضاً يعطف على الإيمان التقوى ،
 والتقوى من الإيمان ، التقوى من الإيمان ، وذكر مثلاً على عطف التقوى على الإيمان قول الله عز
 وجل : ﴿الْآيَاتِ أُولِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ٦٣﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ والخوف

والحزن ، الخوف والحزن إذا جمع بينهما فإن الخوف يتعلق فيما يستقبل والحزن فيما مضى ، فلا
 تحزن لا خوفٌ عليهم مما هم قادمون عليه ولا حزن يصيبهم مما هم تاركون ، تركوه من أهل
 وولد وذرية فهم في حفظ الله ، وما هم مقبلون عليه أيضاً لا خوف لأنهم في موعودٍ لله سبحانه
 وتعالى بالنجاة والفوز والرفعة عند الله سبحانه وتعالى ، مثل ما قال الله : ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ

اسْتَقَلُّوا نَزَّلَ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ ٦٤﴾ لا تخافوا مما أنتم قادمون عليه
 ، فلکم الأجر والمثوبة عند الله سبحانه وتعالى ، ولا تحزنوا على ما أنتم تاركون له من أهل وولد ،
 فهم في حفظ الله سبحانه وتعالى .

﴿الْآيَاتِ أُولِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ٦٣﴾ كأنه قيل من هم ؟ ما صفتهم ؟ قال : ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا

وَكَانُوا يَتَّقُونَ ٦٣﴾ من كان مؤمناً تقياً كان لله ولياً ، فالولي هو المؤمن التقي ، وهذا يحتاج إلى

فهم الإيمان والتقوى إذا جمع بينهما ، أما إذا ذكر كل واحدٍ منهما منفرداً عن الآخر ، يشمل الدين
 كله ، الإيمان إذا أطلق يشمل الدين كله ، والتقوى إذا أطلقت تشمل أيضاً الدين كله لكن إذا جمع
 بين الإيمان والتقوى فإن التقوى تعني الاعتقاد الصحيح ، عفواً الإيمان يعني الاعتقاد الصحيح
 القائم في القلب ، وفعل الأوامر والطاعات ، والتقوى تعني ترك المحرمات والبعد عن الآثام ، إذا
 جمع بين الإيمان والتقوى فالإيمان هو العقيدة والأعمال الصالحة ، والتقوى هي تجنب المنهيات
 والبعد عن الحرام ، فيكون أولياء الله حقاً وصدقاً من جمعوا بين هذين الأمرين ، صحة الاعتقاد

مع فعل الأوامر والبعد عن النواهي ولا سيما فرائض الدين وأعظم ذلكم الصلاة ، والصلاة ميزان يومي يعرف بها أحوال الناس ، ولهذا أهم ما ينبغي أن يعتنى به في معرفة الأشخاص في زواج أو في غيره أن يسأل عن صلاته ، وصلاته يسأل عنها عند جماعة حيه ، يقال كيفه مع الصلاة ؟ والصلاة صلة بين العبد وبين الله سبحانه وتعالى ، فمن تهاون بها وفرط فهو لما سواها أضيع ، وهي محك يومي ، خمس مرات في اليوم واللييلة ، ولهذا أهم ما ينبغي أن يعرف به ويقوم به الأشخاص ، والمحافظة عليها في جماعة المسلمين ، ويوجد إلى يومنا هذا من يدعون في أمكتهم وبين من حولهم من أناس يدعون الولاية ولا يحافظون على الجماعة ، يدعون الولاية ولا يحافظون على الجماعة ، وربما أيضاً عرفوا ببعض المحرمات ويدعون الولاية ، وأولياء الله حقاً لا يزكون أنفسهم ، لا يقول أنا ولي ، إذا قيل له من أنت ؟ يقول أنا مسكين ، أنا ضعيف أنا مقصر ، أنا خائف على نفسي ، ﴿ فَلَا تَزُكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ﴾ ﴿٢٣﴾ أما إذا جاء الشخص وقال أنا من أولياء الله ثم لا يرى محافظاً على الصلاة ويعلم عنه فعل بعض المحرمات ، لكنه يأتي ببعض الأشياء الخارقة التي تعينه عليها بعض الشياطين فيلبس على الناس ، هذا من أولياء الشيطان ، وليس من أولياء الرحمن ، أولياء الرحمن لا يزكون أنفسهم ، ولا يدعون لأنفسهم الولاية ، بل لا يزال يرى نفسه مقصراً مفرطاً ، كما قال الله سبحانه وتعالى عن عباده الكمل : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءً آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَّةٌ أَنْهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴾ ﴿٢٤﴾ أي خائفة ألا يتقبل منهم ، فلا يدعون لأنفسهم ذلك ، ثم هم في جهاد مع أنفسهم في الطاعة والعبادة والعبد عما حرم الله سبحانه وتعالى ، وفي الحديث المشهور عند العلماء بحديث الولي ، قال الله عز وجل فيه : (من عادا لي ولياً فقد آذنته بالحرب) فكأنه قيل من الولي ؟ فكان الجواب في الحديث (من عادا لي ولياً فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه) فأخذ من ذلك أن ولي الله سبحانه هو من يحافظ على التقرب إلى الله بالفرائض ، وهذه درجة في الولاية ، وأعلى درجة من هذه من أضاف على محافظته على الفرائض العناية بالنوافل ، ولهذا قال بعده (ولا يزال يتقرب إلي عبدي بالنوافل حتى أحبه) والتقرب إلى الله بالنوافل بعد المحافظة على الفرائض ، ومن شغله الفرض عن النفل فهو معذور ، ومن شغله النفل عن الفرض فهو مغرور ، الفرائض هي أهم ما يكون من الدين ولا يشتغل بأي أمر آخر دونها أو قبلها ، أهم ما يكون من أمور الدين ينبغي أن يحافظ عليه ، فأولياء الله سبحانه وتعالى حقاً وصدقاً هم أهل طاعته وعبادته والتقرب إليه سبحانه بما يحب ، وأعظم ما يحبه الله تعالى من المقربات الفرائض وأعظم ذلك الصلاة .

قال رحمه الله تعالى :

فَذَكَرَ الْإِيمَانَ الشَّامِلَ لِمَا فِي الْقُلُوبِ؛ مِنَ الْعَقَائِدِ، وَالْإِرَادَاتِ الطَّيِّبَةِ، وَالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ ، وَلَا يَتِمُّ لِلْمُؤْمِنِ ذَلِكَ حَتَّى يَتَّقِيَ مَا يُسَخِّطُ اللَّهَ؛ مِنَ الْكُفْرِ وَالْفُسُوقِ وَالْعِصْيَانِ، وَلِهَذَا حَقَّقَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَكَاوَأَيْتَقُونَ﴾
كَمَا وَصَفَ اللَّهُ بِذَلِكَ خِيَارَ خَلْقِهِ، بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾^(٧) فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾ [سُورَةُ الْمُلْكَ: ١-٣].

الشرح

قال رحمه الله (فَذَكَرَ) أي في هذه الآية ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(٦٣) الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٤﴾ فذكر في هذه الآية (الْإِيمَانَ الشَّامِلَ لِمَا فِي الْقُلُوبِ؛ مِنَ الْعَقَائِدِ، وَالْإِرَادَاتِ الطَّيِّبَةِ، وَالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ ، وَلَا يَتِمُّ) أي هذا الإيمان (حَتَّى يَتَّقِيَ مَا يُسَخِّطُ اللَّهَ؛ مِنَ الْكُفْرِ وَالْفُسُوقِ وَالْعِصْيَانِ، وَلِهَذَا حَقَّقَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَكَاوَأَيْتَقُونَ﴾

وهذه فائدة حقيقة ثمينة في معنى الآية ، فقوله ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ هذا يشمل العقائد التي تقوم في القلب ،
الإرادات الصحيحة التي تقوم في القلب ، والأعمال الصالحة التي تكون من العبد ، وقوله ﴿وَكَاوَأَيْتَقُونَ﴾



يشمل إتقاء كل ما يسخط الله وأعظم ذلكم الشرك والكفر بالله سبحانه وتعالى ثم تجنب الفسوق والعصيان

﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾

هذا فيه العقائد والإرادات الصحيحة والأعمال الصالحة ، وقوله ﴿وَكَاوَأَيْتَقُونَ﴾

فيه إتقاء كل ما يسخط الله سبحانه وتعالى من كفر أو فسوق أو عصيان قال : (كَمَا وَصَفَ اللَّهُ بِذَلِكَ خِيَارَ خَلْقِهِ، بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَبٌ إِلَيْكُمُ الْإِيمَنُ﴾ حب : هذا فيه أن الإيمان منة إلهية ، وعطية ربانية يتفضل بها على من يشاء ، هو الذي يتفضل على القلب ؛ قلب المؤمن بأن يحبب إليه الإيمان ، يجعله محباً للإيمان ، محباً للطاعة مبغضاً للكفر والفسوق والعصيان ، وكل من وجد في قلبه محبة للإيمان وبغضاً للكفر والفسوق والعصيان فليعلم أن هذه منة الله عليه ، وأنه لولا فضل الله عليه بذلك لما كان منه هذا الحب للإيمان ، ولما كان منه هذا البغض للكفر والفسوق والعصيان ، قال : ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَبٌ إِلَيْكُمُ الْإِيمَنُ وَرَيْنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَهُ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّشِدُونَ﴾ ٧ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ ﷻ

أي هذا التحبيب للإيمان ، والتبغض للكفر والفسوق والعصيان هذا فضل من الله ونعمة ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ لما ذكر تحبيب الإيمان ، ﴿حَبَبٌ إِلَيْكُمُ الْإِيمَنُ﴾ ذكر ما يقابل ذلك وهو تكرية هذه الأمور الثلاثة للمؤمن ، الكفر والفسوق والعصيان ، لأن الأمور التي تضاد الإيمان وتخالف الإيمان على ثلاث مراتب : كفر وفسوق وعصيان ، وكل واحدة أشد من الأخرى ، أشد ما يكون الكفر وهذا مضاد للإيمان من كل وجه ، منافٍ له من كل وجه بمعنى ؛ إن وجد الكفر الذي هو الأكبر انتفى الإيمان ، إذا وجد الكفر الذي هو الأكبر انتفى الإيمان وانتقل الشخص من الملة ؛ ملة الإيمان إلى الكفر والعياذ بالله ، فالكفر منافٍ للإيمان كل المنافاة ، ناقضٌ للإيمان مبطلٌ له ، والفسوق يراد به كبائر الذنوب وعظائم الآثام ، كبائر الذنوب وعظائم الآثام التي يستوجب أو يستحق فاعلها العقوبة ، ولهذا يأتي التهديد على النوع على هذا النوع من الذنوب بالنار ، وسخط الله ، وعقابه ، مثل (لا يدخل الجنة) مثل (لعن فاعله) مثل (نفي الإيمان عنه) مثل قول (ليس بمؤمن من فعل ذلك) هذا كله لا يكون إلا من كان في مثل هذا الصنف : الفسوق أي المعاصي الكبيرة العظيمة ، التي يستحق صاحبها العقوبة ، والتي تكون مغفرتها بالتوبة منها وإلا يكون صاحبها عرضة للعقوبة ، مثل ما قال عليه الصلاة والسلام (الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر) فالفسوق المراد به هذا النوع من المعاصي ؛ أي المعاصي الكبار ، الذنوب الكبار ، التي فعلها يستوجب العقوبة ويستحق به فاعله العقوبة ، والمعاصي ، والعصيان ما دون ذلك من الذنوب ، وهذا النوع من الذنوب الذي هو دون الفسوق تكفره الحسنات ، ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ أَلْسَفَاتِ﴾ [وأتبع السيئة الحسنة تمحها]

فالحسنات تذهب هذا النوع من الذنوب ، أما الذي قبله الذي هو الفسوق والمعاصي الكبار ؛ كبائر الذنوب هذه لا بد فيها من توبة إلى الله سبحانه وتعالى ، فلما كانت الأمور التي تتنافى مع الإيمان ليست على مرتبة واحدة منها ما هو كفرٌ أكبر ناقل من الملة ، ومنها ما هو فسوقٌ أي كبائر وذنوب عظام تستوجب العقوبة من

فاعلها ، ومنها ما هو دون ذلك ، ذكر هذه الأقسام الثلاثة ، ﴿وَكَرِهَ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ﴾ ثم قال : ﴿أُولَئِكَ﴾ أي هؤلاء الموصوفون بهذا الوصف : ﴿أُولَئِكَ هُمُ الرّٰشِدُونَ﴾ والراشد ضد الغاوي كما أن المهتدي ضد الضال ، وإذا جمع بين الهداية والرشاد فإن المراد بالهداية صلاح العلم والمراد بالرشاد صلاح العمل ، وإذا أفرد كل منهما تناول الآخر ، فقوله هنا ﴿أُولَئِكَ هُمُ الرّٰشِدُونَ﴾

يتناول صلاح هؤلاء في علمهم وعملهم ، فهم راشدون أي ليسوا بضالين ولا بغاوين ، أهل علم صحيح ، وعمل صالح ، وحسن تقرب إلى الله سبحانه وتعالى ، وبعد عما يسخطه جل في علاه ، قال رحمه الله : (فَهَذِهِ أَكْبَرُ الْمَنْ: أَنْ يُحِبَّ اللَّهُ الْإِيمَانَ لِلْعَبْدِ، وَيُزَيِّنَهُ فِي قَلْبِهِ،) وكان من دعاء نبينا عليه الصلاة والسلام وكان يقوله دبر كل صلاة قبل أن يسلم [اللهم زينا بزينة الإيمان واجعلنا هداة مهتدين]

قال : (أَنْ يُحِبَّ اللَّهُ الْإِيمَانَ لِلْعَبْدِ، وَيُزَيِّنَهُ فِي قَلْبِهِ، وَيُذَيِّقَهُ حَلَاوَتَهُ، وَتَنْقَادَ جَوَارِحِهِ لِلْعَمَلِ بِشَرَائِعِ الْإِسْلَامِ، وَيُبْغِضَ إِلَيْهِ أَصْنَافَ الْمُحَرَّمَاتِ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ)

في قوله في الآية الكريمة ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ قال : (وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَنْ يَسْتَحِقُّ أَنْ يَنْفَضِّلَ عَلَيْهِ بِهَذَا الْفَضْلِ، حَكِيمٌ فِي وَضْعِهِ فِي مَحَلِّهِ اللَّاتِقِ بِهِ)

ونسأل الله عز وجل بمنه وفضله جل في علاه أن يحبب إلينا أجمعين الإيمان وأن يزينه في قلوبنا وأن يكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان وأن يجعلنا من الراشدين فضلاً منه تبارك وتعالى ونعمة .

قال رحمه الله تعالى :

كَمَا ثَبَتَ فِي «الصَّحِيحِ» مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَرْجَعَ عَنْ دِينِهِ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَذَّفَ فِي النَّارِ» فَذَكَرَ أَصْلَ الْإِيمَانِ الَّذِي هُوَ مَحَبَّةُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَلَا يَكْتَفِي بِمُطْلَقِ الْمَحَبَّةِ، بَلْ لَا بُدَّ أَنْ تَكُونَ مَحَبَّةُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ مُقَدِّمَةً عَلَى جَمِيعِ الْمَحَابِّ. وَذَكَرَ تَفْرِيعَهَا؛ بِأَنْ يُحِبَّ اللَّهُ، وَيُبْغِضَ اللَّهُ، فَيُحِبُّ الْأَنْبِيَاءَ وَالصَّادِقِينَ، وَالشُّهَدَاءَ وَالصَّالِحِينَ؛ لِأَنَّهُمْ قَامُوا بِمَحَابِّ اللَّهِ، وَاخْتَصَّوهُمْ مِنْ بَيْنِ خَلْقِهِ وَذَكَرَ دَفْعَ مَا يُنَاقِضُهُ وَيُنَافِيهِ، هَذَا الثَّلَاثُ كَمَا فِي الْحَدِيثِ .

(وَذَكَرَ دَفْعَ مَا يُنَاقِضُهُ وَيُنَافِيهِ، وَأَنَّهُ يَكْرَهُ أَنْ يَرْجَعَ عَنْ دِينِهِ أَعْظَمَ كَرَاهَةً، تُقَدَّرُ أَعْظَمَ مِنْ كَرَاهَةِ الْإِقَائَةِ فِي النَّارِ. وَأَخْبَرَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّ لِلْإِيمَانِ حَلَاوَةً فِي الْقَلْبِ، إِذَا وَجَدَهَا الْعَبْدُ سَلَّتْهُ عَنِ الْمَحْبُوبَاتِ الدُّنْيَوِيَّةِ، وَعَنِ الْأَغْرَاضِ النَّفْسِيَّةِ، وَأَوْجَبَتْ لَهُ الْحَيَاةَ الطَّيِّبَةَ، فَإِنْ مَنْ أَحَبَّ اللَّهُ وَرَسُولَهُ؛ لَهَجَ بِذِكْرِ اللَّهِ طَبْعًا -فَإِنْ مَنْ أَحَبَّ شَيْئًا أَكْثَرَ مِنْ ذِكْرِهِ-، وَاجْتَهَدَ فِي مُتَابَعَةِ الرَّسُولِ، وَقَدَّمَ مُتَابَعَتَهُ عَلَى كُلِّ قَوْلٍ، وَعَلَى إِرَادَةِ النَّفْسِ وَأَغْرَاضِهَا.

مَنْ كَانَ كَذَلِكَ، فَنَفْسُهُ مُطْمَئِنَّةٌ، مُسْتَحْلِيَةٌ لِلطَّاعَاتِ، قَدْ انْشَرَحَ صَدْرُ صَاحِبِهَا لِلْإِسْلَامِ؛ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ.
وَكَثِيرٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَا يَصِلُ إِلَى هَذِهِ الْمَرْتَبَةِ الْعَالِيَةِ، ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَتٌ مِمَّا عَمِلُوا﴾ [الأحقاف: ١٩].

الشرح :

أورد رحمه الله تعالى هذا الحديث العظيم ؛ حديث أنس وهو في الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
«ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ : (وهذا مثل ما نبه رحمه الله عليه فيه دلالة على أن الإيمان له
حلاوة في قلب المؤمن ، ومعنى حلاوة أي طعم ولذة ومذاق جميل ، مثل ما قال في الحديث الآخر (ذاق طعم
الإيمان) فالإيمان له حلاوة ، لكن هذه الحلاوة لا يجدها إلا بتحقيق هذه الأمور الثلاث المذكورات في
الحديث ، ونبه على عظيم شأن هذه الحلاوة أنها متى ما وجدت في القلب حقاً وصدقاً سلَّت صاحبها عن
المحوبات الدنيوية وعن الأغراض النفسية وأوجبت له الحياة الطيبة ، مثل ما قال الله سبحانه : ﴿مَنْ عَمِلَ

صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ » أما
الأمور الثلاثة التي تذاق بها هذه الحلاوة ؛ حلاوة الإيمان فهي :

أولاً : أصل الإيمان الذي هو محبة الله ومحبة رسوله عليه الصلاة والسلام ، ومحبة الله أصل ، ومحبة الرسول
عليه الصلاة والسلام تبع ؛ لأن محبته من محبة الله ، كما أن طاعته عليه الصلاة والسلام من طاعة الله : ﴿مَنْ

يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾

قال الشيخ رحمه الله : (وَلَا يَكْتَفِي بِمُطْلَقِ الْمَحَبَّةِ)، محبة الله لا يكتفى بها بمطلق المحبة (بَلْ لَا بُدَّ أَنْ تَكُونَ مَحَبَّةُ
اللَّهِ وَرَسُولِهِ مُقَدِّمَةً عَلَى جَمِيعِ الْمَحَابِّ) . والمحاب التي في الدنيا كثيرة ، لكن أهمها ثمانية أشياء جبلت النفوس
كل النفوس على محبتها انظرها في قول الله عز وجل : ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ

وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ

فِي سَبِيلِهِ﴾ فهذه الأمور الثمانية المذكورة في الآية الكريمة هي أمور محبوبة للناس كل يحب هذه الأشياء ولا

شيء على أحد في حبه لها ، الله جل وعلا جبل الناس على حب هذه الأشياء ، لكن الخطورة أن يقدم المرء
محبة هذه الأشياء أو محبة شيء منها على محبة الله ومحبة رسوله صلوات الله وسلامه عليه ومن فعل ذلك
فليتربص ينتظر عقوبة الله سبحانه وتعالى ، فيقول رحمه الله (وَلَا يَكْتَفِي بِمُطْلَقِ الْمَحَبَّةِ ، بَلْ لَا بُدَّ أَنْ تَكُونَ مَحَبَّةُ

الله وَرَسُولِهِ مُقَدَّمَةً عَلَىٰ جَمِيعِ الْمَحَابِّ). هذا الأمر الأول مما ذكر في الحديث ، الأمر الثاني : (وَذَكَرَ تَفْرِيعَهُمَا) أي ما يتفرع عن محبة الله ، في قوله : (وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا اللَّهُ) هذا تفریع ، الأول : أصل ، وهو قوله : (أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا) هذا أصل ، ثم يتفرع عن هذا الأصل : (وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا اللَّهُ) بأن يحب الله ويغض الله ، فيحب الأنبياء الصديقين الشهداء والصالحين لأنهم قاموا بمحابة الله واختصهم من بين خلقه .

ثم ذكر الأمر الثالث بقوله : (وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَرْجَعَ عَنْ دِينِهِ ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَذَّفَ فِي النَّارِ) قال الشيخ : (وَذَكَرَ دَفْعَ مَا يُنَاقِضُهُ وَيُنَافِيهِ يَكْرَهُ أَنْ يَرْجَعَ عَنْ دِينِهِ أَغْظَمَ كَرَاهَةً ، تُقَدَّرُ أَغْظَمَ مِنْ كَرَاهَةِ إِلْقَائِهِ فِي النَّارِ).

فإذن هي أمور ثلاثة التي ذكرت في الحديث :

أصل ، وتفریع ، ودفع للمضاد المناقض ، فهي أمور ثلاثة من تحققت فيه وجد بهن حلاوة الإيمان ، وفي الدعاء المأثور عن نبينا الكريم صلوات الله وسلامه وبركاته عليه : اللهم إني أسألك حبك وحب من يحبك والعمل الذي يقربنا إلى حبك ، وهي دعوة عظيمة مأثورة عن نبينا الكريم صلوات الله وسلامه وبركاته عليه ونسأل الله جل وعلا أن ينفعنا أجمعين بما علمنا وأن يزيدنا علماً وأن يصلح لنا شأننا كله وأن لا يكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ، وأن يزيدنا أجمعين بزيينة الإيمان وأن يجعلنا هداة مهتدين غير ضالين ولا مضلين ، اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا وأصلح لنا آخرتنا التي فيها معادنا واجعل الحياة زيادة لنا في كل خير والموت راحة لنا من كل شر .

اللهم صلي وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .